جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية

بنين بجرجا

الانفعالات العاطفية
ودلالتها البلاغية في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

الدكتور

حصة بنت عبدالله الرميح

أستاذ البلاغة والنقد المساعد في قسم اللغة العربية

بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

العدد الخامس عشر

للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء الخامس

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله خير الأنام نبينا محمد ﷺ وبعد :

نتعرض في هذه الحياة إلى العديد من المواقف في شتى المجالات ، كما نتعرض للكثير من المشكلات النفسية والاجتماعية التي يمتلئ بها واقعنا الحضاري ، مما يتعذر معه العيش على وتيرة واحدة ، فتارة نشعر بالسعادة وتارة أخرى ينتابنا الحزن ، أو تعترينا حالات من الغضب إثر بعض المواقف، أو تتحرك فينا غريزة الخوف. وفي كل تلك الحالات نعبر بأساليب مختلفة ، ومتفاوتة؛ ولذا فقد شغل العلماء بتحليل الانفعالات والعواطف لغرض تمكين العقل من السيطرة على تلك الانفعالات وتسخيرها لخدمة وسعادة الفرد(١).

وهنا نتسآل لماذا خلق الله تعالى هذه الانفعالات ؟ ماذا لو كانت الحياة بدونها ؟ ماذا لو اقتصرت أنشطة دماغ الإنسان على التفكير فقط(٢)؟

وبعد الوقوف على تفاوت علماء النفس في تعريفهم للانفعالات، وتباين مفاهيمهم حولها وتداخلها ، رغم أنها مفهوم شائع في مجال علم النفس ؛ كانت هذه الدراسة الموجزة التي تبحث

---

(١) انفعالات النفس ، رينيه ديكارت ، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي ، دار المنتخب العربي ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م بيروت – لبنان ، ص٨ ٠

(٢) علم النفس العام أ.د محمد عودة الريماوي ط ٤ ، ٢٠١١ - ١٣٣٤هـ ، الأردن عمان – ص ٢٣٧ ٠

في المدلول البلاغي للانفعالات العاطفية في القرآن الكـــريم، فتعنـــى بتوضيح تصوير القرآن الكريم لها ، وتكشف عن معانيها فيه .

أما عن أهمية البحث فالدراسة قد اعتمدت الوقوف على مفهوم الانفعالات العاطفية في القرآن الكريم من الناحية البلاغية في ايجاز.

ومن ثم قام البحث على : مقدمة، وتمهيد، ومبحث، وخاتمة ، ودليل لموضوعاته، وثبت لمصادره ومراجعه ، فأما التمهيد فسأتحدث فيه عن تعريف الانفعال العاطفي لغويا أولا ثم أثني بالحـــديث عـــن معناه لدى علماء النفس وإما المبحث فسأعرض فيه أولا للحديث عن الانفعالات النفسية الواردة في القرآن الكريم مع الاستدلال والتحليـــل البلاغي لغرض إبراز المفهوم الإسلامي للانفعالات .

التمهيد

وفيه مسألتان :-

الأولى : المعنى اللغوي للانفعال العاطفي وما بينهما من ارتباط وتشابك.

والثانية : تعريفه لدى علماء النفس .

أولا : المعنى اللغوي للانفعال العاطفي:-

الانفعال :- لغة من (انفعل) وأصله من فعل الذي هو كناية عن كل عمل، افتعل ، فعلت الشيء فانفعل كقولنا كسرته فانكسر(١).

أما (عاطفية) : فهي من عطف بمعنى انصرف ، ورجل عاطف وعطوف أي حسن الخلق ، عطوف على الناس بفضله ، وتعاطفوا أي عطف بعضهم على بعض ، وتعاطف في مشيته أي تمايل وتثنى(٢).

وهنا نعطف على أقوال الفلاسفة حول هذا المعنى ؛ حيث يطلقون لفظ " انفعال " بالنظر للشخص الذي يحدث له ، ولفظ " فعل " بالنظر للشخص الذي جعله يحدث أو يقع ، ورغم أن الفاعل والمنفعل في معظم الأحيان مختلفان اختلافا كبيرا ، إلا أن الفعل والانفعال لا يستطيعان أن يكونا إلا شيئا واحدا، له هذان الاسمان(٣).

---

(١) لسان العرب ج ١١- ص ٥٢٨-٥٢٩

(٢) لسان العرب ج٩-ص٢٤٩

(٣) انفعالات النفس ص ١٥

ثانياً :ـ معنى الانفعالات العاطفية عند علماء النفس :

تعددت مفاهيم الانفعالات العاطفية لديهم ، فمنهم من عرفها بأنها عبارة عن انعكاسات معينة للاستجابة في المواقف ، والبعض الآخر تناولها على أنها اضطرابات نفسية حادة ناتجة عن مواقف نفسية أو استثارات تبدو ظاهرة في سلوك الإنسان ، وخبرته الشعورية ووظائفه الفسيولوجية الداخلية(١).

وقيل الانفعالات هي إحساسات أو تأثيرات نفسية ، وتنسب بشكل خاص للنفس لا لغيرها(٢)، فقد تنبه هؤلاء لأثر الانفعال على النفس بمعنى أنه لا شيء يؤثر على النفس ويهيجها مثل الانفعالات(٣).

كما وصف الانفعال بأنه حالة (state) الاستعداد للفعل ، ووضع الأولويات وتدعيم المخططات وما يصحبها من تغييرات جسمية وتعبيرات وانفعالات(٤).

---

(١) تعريف YoungوMarx ، علم النفس د. عبد الحميد الهاشمي جامعة الملك عبد العزيز دار الشروق ط١ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢مـ ص ١٦٦-١٦٧

(٢) ذكر ديكارت في كتابه انفعالات النفس :- " أن مبدأ التمييز بين النفس والجسد يقوم على الفكرة الواضحة المتميزة التي عندي ، ففكرتي عن نفسي هي كشيء يفكر ، وفكرتي عن جسدي هي كشيء ممتد لا يمكن أن يفكر البتة ، النفس هي إذن التفكير ، والجسد هو الامتداد . " انفعالات النفس ، رينيه ديكارت ، ترجمة وتعليق جورج زيناتي ، ص15

(٣) انفعالات النفس ص٢٨

(٤) وصف أوتالي وجنكيز Otaley&Jenkins علم النفس العام أ.د محمد عودة الريماوي ط٤ ٢٠١١-١٤٣٤هـ ، الأردن – عمان

وقيل الانفعال حالة جسمية نفسية يصاحبها توتر شديد مع اضطرابات عضوية تغشى أجهزة الإنسان الدموية والتنفسية والعضلية[١].

وصف الانفعال أيضا بكونه حالات وجدانية طارئة ومفاجئة ، مصحوبة باضطرابات عضوية فسيولوجية ، واضطرابات سلوكية ، يستطيع صاحبها التكيف السريع معها[٢].

وهنا ندرك سبب تفاوت العلماء في تعريفاتهم للانفعالات العاطفية ؛ فرغم أنها تجربة إنسانية إلا أنه من الصعب التعرف على ماهيتها أو حدودها ، فقد اعتمدت التعريفات السابقة على الخصائص المصاحبة لتلك الحالات الانفعالية[٣].

وللحديث حول الانفعالات العاطفية – من المنظور الإسلامي – نستهل حديثنا ببيان الفرق بين العاطفة والانفعال .

الفرق دقيق بين العاطفة والانفعال ؛ فالعاطفة استعداد ثابت نسبي ، مركب من عدة انفعالات تدور حول موضع معين أما الانفعال فهو حالة عابرة طارئة ، فالحب والكرة مثلا من العواطف التي ينتجهما الانفعال ، لكنها ليست هي عينها انفعال .

---

(١) أصول علم النفس د. عبد الحميد الهاشمي جامعة الملك عبد العزيز دار الشروق ط١ ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ص ١٦٦-١٦٧

(٢) علم النفس العام ، د. فوزي محمد ، ط ، ص ٢٥٦- ٢٥٨ +كتاب علم النفس للقطامي ص ٢١٧-٢١٨

(٣) علم النفس العام ، د. محمد عودة الريماوي ،ص ٢٣٨

معنى الانفعالات العاطفية في القرآن الكريم :- (آيات من القرآن الكريم أنموذجا)

اعتنت الشريعة الإسلامية بالبشرية ، وأولتها جلّ رعايتها ، فقد تضمن القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان ، فوصفت أحواله النفسية المختلفة ، وعرضت للعديد من الانفعالات التي يتعرض لها؛ فبينت أسباب انحرافها ، وطرق علاجها ووقايتها ، وكيفية تهذيبها .

من تلك الانفعالات :ـ

أولا الحزن : الحزن نقيض الفرح وهو خلاف السرور ، وهو مأخوذ من الحزن أي ما غلظ من الأرض ، فكأنه بذلك أطلق وأريد به ما غلظ من الهم[١] وقد ورد ذكر الحزن في العديد من الآيات القرآنية إما مفردا أو مقترنا بغيره من الانفعالات كالخوف ، ، كما أشارت الآيات إلى أن الحزن قد يكون على ما مضى ، وقد يكون على ما يستقبل إذا رافقه الخوف[٢]، كما بينت أيضا آثاره الفسيولوجية الجسدية ، وبينت تدرجه وتصعده ، كما أشارت إلى أن منه ما يكون لحظيا مؤقتا ، ومنه ما يمتد لأمد طويل ومنه مالا يحدث إلا في الحياة الثانية بعد الموت .

فذكره منفردا كما في قوله تعالى : (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) التوبة ٩٢ حيث أشارت الآية إلى الضعفاء

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص١١١-١١٢
(٢) روح المعاني ج١ ص٢٣٩

والمرضى الذين انصرفوا عن محمد ﷺ حزينين لأنه لم يجد ركوبة لهم للخروج معه[١].

أما قوله تعالى حكاية عن يعقوب :- (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) يوسف ١٢ وقوله سبحانه عنه في نفس السورة (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) يوسف ٨٤

فقد تحدثت الآيتين عن كيفية تدرج الحزن وامتداده لأمد طويل مما أدى إلى أثار وأضرار جسدية :-

فحزن يعقوب على يوسف عليه السلام ؛ - في الآية الأولى - كان تألما لبعد يوسف عنه مع امتزاج ذلك الحزن بالخوف عليه من اغتيال الذئب له حين يلهو عنه أخوته باللعب واللهو والسباق، وقد صرح يعقوب بحزنه في حال ذهابهم به وعدم قدرته على مفارقته وعدم صبره عنه؛ ليصرفهم عن الإلحاح عليه في الطلب، حيث أن من شأن الابن البار أن يتقي ما يحزن والده ولهذا تظهر الجملة مصدرة بحرف التأكيد "إن" ليقطع عليهم سبيل الإلحاح عليه بتركه[٢] أما في الآية الثانية فقد تحدثت عن حال يعقوب عليه السلام -حينما

---

(١) التحرير والتنوير ج٥-ص٢٩٦

(٢) التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحتون، تونس ، ج١٢ ص٢٣٤، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار الفكر ، ج٦،ص١٩٤

ابتلي بابنه الثاني بنيامين – حيث تولى عن أبنائه واختلى بنفسه[١]، وتجدد أسفه على يوسف عليه السلام وتحسره عليه وإنما تأسف على يوسف رغم أن الحادث الجديد كان مصيبته في أخويه ؛ لأن رزأه بيوسف كان الأول وحزنه عليه أخذَ بمجامع قلبه لا ينساه[٢]، حتى ابيضت عيناه ، فتوالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عمل عصب[٣] الإبصار لديه[٤] ، وقد وصف بالكظيم ، والكظيم مبالغة للكاظم وأصل الكظم مخرج النفس يقال أخذ يكظمه إذا أخذ بمخرج نفسه ، وكظم الرجل غيظه إذا اجترعه ، يكظمه رده وحبسه[٥]، والكَظم : الإمساك النفساني ، والمقصود به إما على معنى مفعول أي مكظوم مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره ، أو مملوء من الحزن ممسك له لا يبديه للناس[٦] أو

---

(١) لما ساء ظنه بنيه ولم يصدق قولهم واستراب بهم تولى عنهم المحرر الوجيز ج٨ ، ص٤٩

(٢) روح المعاني ج ٧، ص٣٩-٤٠وقد ورد في الأثر(أنه منذ خرج يوسف من عند أبيه يعقوب إلى أن رجع ثمانون عاما لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري ، فلم يزل باكيا حتى ذهب بصره) روح المعاني ج٧ ، ص٤٠

(٣) علم النفس الفسيولوجي أ. د أحمد عكاشة و أ.د طارق عكاشة ، ط١٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٢٩-٣٠

(٤) التحرير والتنوبر ج٦ ، ص٤٢-٤٣، روح المعاني ج٧-ص٤٠

(٥) فهو رجل كظيم ــ والغيظ مكظوم ، وقيل كظم الغيظ تجرعه واحتمل سببه وصبر عليه° وكان كظمه الغيظ لإخفائه وحبسه عن الوصول لمخرجه°، والغيظ مكظوم والكاظمين الغيظ أي الحابسين الغيظ كظمت الغيظ أكظمه إذا أمسكت على ما في نفسك منه اللسان ج١٢ص٥١٩- ٥٢٠

(٦) التحرير والتنوير ج٦، ص٤٤ ، روح المعاني ج٧، ص٤١

على معنى فاعل بمعنى أنه فاعل للكظم ، وكلاهما يدل على شدة تجرعه للحزن لأنه لم يشكه لأحد قط[١] فلا معين ولا مذهب لحزنه إلا بزوال المسبب الذي أوجده ألا وهو عودة يوسف عليه السلام، ولعلمه بأن البشر لا قدرة لهم على استرجاع يوسف وأخوته لجأ إلى ربه يبثه شكواه وهو موقن بزوال كربه وانفراج همه قال تعالى : (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) يوسف ١٨ وقال سبحانه :- (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) يوسف ٨٣

أي فاصبري يا نفس صبرا جميلا ، حاثا نفسه على الصبر وتفويض الأمر لله ومعززا ثقتها به عز وجل ،فالصبر الجميل هو ما لا تكون فيه شكوى إلى الخلق وقد قال يعقوب عليه السلام(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) يوسف ٨٦ فالعون مطلوب منه تعالى وحده والدواعي النفسانية تدعو إلى إظهار الجزع وهي قوية ، والدواعي الروحانية تدعو للتعلق بالله وتدفع للصبر الجميل وكأن المدافعة تحدث بين الصفتين فإن لم تحصل المعونة منه تعالى لا تحصل للمرء الغلبة ولذا قال تعالى (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [٢]، وقد بينت الآيات القرآنية فيما بعد أن الله قد أنعم عليه برد بصره أولا الذي عطب بنفس المسبب الذي تسبب له بذهابه قال تعالى :- (اذْهَبُوا

---

(١) فأصله من كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه ، فكأنه عليه السلام يرد ذلك في جوفه مرة بعد أخرى من غير أن يطلع أحداً عليه

(٢) روح المعاني ج٦، ص٢٠١-٢٠٢

بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) يوسف٩٣ وقد رُدّ له بصره[١] بعد أن وجد ريح يوسف ، ثم جمعه الله تعالى بولديه.

وبهذا نلحظ أن القرآن :- ١- قد أظهر تدرج وتصعد انفعال الحزن إلى عدة مراحل متفاوتة

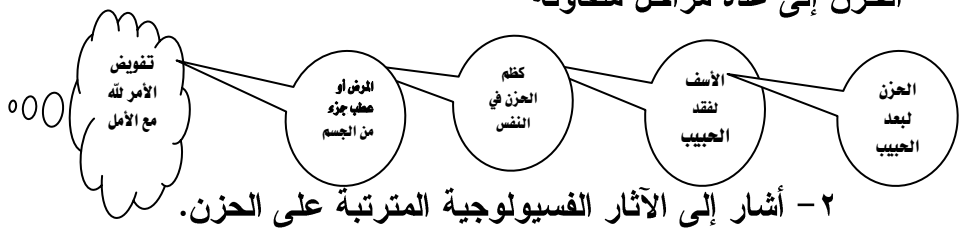

٢- أشار إلى الآثار الفسيولوجية المترتبة على الحزن.

٣- كشف عن العلاج النفسي والجسدي .

وهنا نعرج على الانفعال الثاني ألا وهو ضبط النفس وكبح جماحها والمسمى في القرآن الكظم

ثانيا: كظم الغيظ " ضبط النفس"

فكما وصف القرآن يوسف بكظيم وصف الإنسان أيضا في عدة مواضع أخرى بكظيم في قوله تعالى:- (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)النحل ٥٨ وقوله:- (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) الزخرف ١٧ (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)آل

---

(١) كان الإعتقاد السائد سابقا أن الخلية العصبية لاتعوض ؛ إذ أن الإنسان يولد مزودا بكافة خلاياه العصبية التي ستبقى في جسمه دون زيادة حتى نهاية حياته ، فإذا تعرض إحداها للتلف ، لن تنشأ خلية عصبية جديدة لتحل مكانها ، ولكن تغيرت هذه المعلومة لأن المخ قادر على المطاوعة واللدونة (plasticity) وتكوين خلايا جديدة تعويضية ، علم النفس الفسيولوجي ص٣٠

عمران ١٣٤ والمقصود بالكظيم هنا – أيضا- الممتلئ غيظا قد رد غيظه إلى جوفه فهو يتجرعه ويروم رده[١] ولكن الكظم هنا ليس كظما للحزن وإنما هو كظمٌ للغيظ والغضب إما لإنجاب البنات كما في الآيتين الأولى والثانية فهو انفعال مذموم ، وإما كظمٌ للغضب على المعتدي الظالم وهو من الكظم الممدوح ، فالكاظم في الآيتين الأولى والثانية قد كتم غيظه وغضبه الناتج عن حدث الإنجاب للفتاة ذاته ، أو غيظا من الزوجة التي أنجبتها، كما أن كظمه هذا لم يكن تعبدا لله ،ولم يكن مصطبغا بأمل زوال المسبب للغضب ؛ وإنما كان خشية سخرية القوم به ، أو خشية اطلاعهم على ضعفه ، فهو حكاية عن عمل الرجل في الجاهلية وهذا الانفعال يرفضه القرآن حيث يتحدث عنه بأسلوب الاستهزاء والاستهجان والسخرية قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)النحل ٥٨-٥٩.

ومن هنا نلمس موقف القرآن من انفعال الكظم فقد حسنه حينا وشحذ الهمم له ، حين كان الدافع ساميا فاعلا إيجابيا، كما أنه قد رفضه ونفر منه في حينٍ آخر ، حين تحول إلى موقف المعتدي ، حيث الدافع السلبي الهدام

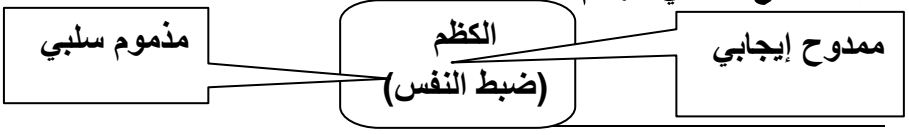

(١) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تعليق عبدالله بن ابراهيم الأنصاري وعبد العال السيد إبراهيم ج١٣، ص٢٠٧

ثالثاً الفرح:

في اللغة الفرح نقيض الحزن وهو أن يجد المرء في قلبه خفة وهو أيضا البطر[١]، وكذا الفرح في القرآن الكريم قد يدل على السرور والانشراح والاستبشار .

كما في قوله تعالى :- (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا) يونس٢٢ فالنعمة قد شملتهم حتى استبشروا وسروا بها[٢]، وقوله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ) التوبة٨١ أي سروا واستبشروا[٣].

وقد يراد به : الفرح المفرط ، المتمحض للدنيا الذي يبلغ حدّ البطر والزهو والعجب ، فيجعل صاحبه متعاليا غافلا وقد بين الله تعالى كرهه لهذا النوع من الفرح ، قال تعالى :- (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) الحديد ٢٣ أي لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ، ولا تفرحوا بما

---

(١) لسان العرب ج٢ص٥٤١

(٢) روح المعاني ج٦، ص٩٦ ، التحرير والتنوير ج٥،ص١٣٦

(٣) فالمقصودين بالفرح هنا هم المنافقين الذين تخلفوا لما استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأذن لهم بالبقاء – لذلك أطلق عليهم وصف المخلّفين على صيغة اسم المفعول لأنّ النبي خلَّفهم ، كما أن فيه إيماء إلى أنّه ما أذن لهم في التخلّف إلاّ لعلمه بفساد قلوبهم ، وأنّهم لا يغنون عن المسلمين شيئاً ؛ وذكر فرحهم هنا دلالة على نفاقهم لأنّهم لو كانوا مؤمنين لكان التخلّف نكداً عليهم ونغصاً لهم كما وأن فرحهم قد يكون لمخالفة الرسول وعدم خروجهم معه للقتال .انظر روح المعاني للألوسي ١٥١ج٥التحرير والتنوير ج٥،ص٢٨٠

أصبغ عليكم من نعمها فمن أيقن أن الكل مقدر من الله ، أيقن بفوات ما قدر فواته ، وإتيان ما قدر إتيانه لا محالة[١]، وكذا قوله سبحانه :- إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) القصص ٧٦ وقوله سبحانه : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)٤٤الأنعام فالآيتان قد تحدثتا عن أقوام ،أنعم الله عليهم بالنعم الكثيرة المتعددة من الرخاء وسعة الرزق والقوة ، مكرا بهم واستدراجا لهم ففرحو وبطروا ونسوا المنعم أو تعالوا على أقوامهم واستخفوا بحقوقهم واعتدوا عليهم كما فعل قارون بقومه[٢] فأخذهم الله وأهلكهم .

مما سبق يظهر أن الفرح في القرآن أنواع ودرجات:-

١. نوع قصد به انفعال الفرح المعهود الحادث في الحياة الدنيا ، إثر موقف أو مواقف معينة ؛ وهو إما مؤقت سريع ، أو ممتد لأجل ، كما أن منه ما هو مسموح به لا ضرر فيه ، أو منهي عنه لكونه مفرطا متمخضا للتعلق بمتاع ولذات النفس ، حيث الانكباب على الدنيا ، والمنافسة في اكتسابها وذلك لأنه يميت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة ، والآداب

---

(١) روح المعاني ج١٤، ص١٨٧، التحرير والتنوير ج١١، ص٤١١-٤١٢

(٢) روح المعاني ج٤ص١٥١، التحرير والتنوير ج٣ ، ص ٢٣٠

الدينية ، وينحدر بها لتتوغل في الإقبال على الملذات فتعرض عن الكمال النفساني، حيث يتحول الفرح إلى البطر المذموم.

٢. نوع قصد به السمة الشخصية للإنسان ؛ وذلك حين يتحول انفعال الفرح إلى البطر والإفراط حتى يصبح البطر سمة للموصوف وطبيعة له فيكون التعبير به تعبيرا عن خلق ثابت مستقر متعلق بالنفس البشرية وملازم لها حتى أصبح طبعا خلقيا جبلت عليه ، وقد أعلن القرآن كراهيته لهذا النوع (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) القصص ٧٦ أي المعجبين المتبطرين المفرطين(١).

٣. وكذا يضيف القرآن مفهوما جديدا لانفعال الفرح ؛ وهو أن منه ما ليس دنيويا معبرا عن انفعالات عاطفية دنيوية فقط ؛ بل هناك فرح واقعٌ بعد الموت في الحياة الآخرة ، حيث يوعد المؤمن بالفرح جزاء عمله في الدنيا، قال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)آل عمران ١٦٩-١٧٠ فهم يحييون حياة خاصة بهم ليست كالمتعارف عليها في هذا العالم أي ليست حياة الأجسام وجريان الدم في العروق ونبضات القلب ، ولا حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس ، بل حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح ، غير منتهية ، وإنما تتحقق معها أثار الحياة لأرواحها من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم ، كسرورهم بما أعطاهم

---

(١) التحرير والتنوير ج ٨ ص١٧٦-١٧٨

ربهم ، واستبشارهم بإخوانهم ولذا قال تعالى (عِنْـدَ رَبِّهِـمْ) دليلا على أن فرحهم في حياتهم تلك فرح خاصٌ بهم[١].

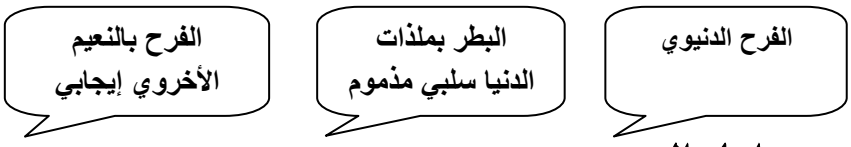

رابعا : السرور

في اللغة من السراء وتطلق على النعمة والرخاء[٢] وهو غير الفرح وقد يراد به الفرح بالنعمة

ورد في النظم الكريم قوله تعالى : (وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْـرُورًا) الانشقاق٨

وقوله : (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَسُـرُورًا) الإنسان ١١

في الآيتين السابقتين يوعد المؤمن بالنعيم الأخروي ففي الأولى يرجع إلى أهله مبتهجا بحاله مسرورا فرحا قد بدت النضرة والسرور على وجهه ، وخصت النضرة بالذكر لأنها تدل على حسن البشرة الحادثة للإنسان جراء فرح النفس ورفاهية العيش وقرة العين[٣]. وهذا أثر من الآثار الفسيولوجية التي تظهر على البشر مترافقة مع انفعال الفرح ، قد وعد الله بها المؤمن في الحياة الآخرة ليصبر

---

(١) روح المعاني ج٢ ص١٢٢-١٢٣ ، التحرير والتنوير ج٢، ص ١٦٦،

(٢) لسان العرب ج٤ ص٣٦١

(٣) روح المعاني ج١٥،ص١٠٣ ، ص١٩٧، التحرير والتنوير ج١٢، ص٣٨٨،٢٣٦

وليجد في العمل ؛ فكأن السرور انفعال تابع للفرح يعقبه ، ولكنه أطول أثرا ، وأشد امتدادا، وأعظم درجة ، ولا يكون إلا لمن أسبغت عليه النعم ظاهرة وباطنه ، وقد وعد الله به المؤمنين .

خامسا الغضب :

الغضب في اللغة نقيض الرضا ، وهو انفعال من الانفعالات النفسية البشرية ، لا تخلو نفس منه ، مع التفاوت بينها ، فغضب المخلوقين شيء يداخل قلوبهم ويمتزج بنفوسهم ولكن منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم ، فالمذموم ما كان في غير الحق والممدوح ما كان في جانب الدين والحق ، وأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه(١).

قد تطرق القرآن الكريم إلى الغضب في الكثير من الآيات القرآنية فعبر عنه من وجهين :

الأول : غضب النفس لذاتها ، وقد حث المؤمن فيه على التسامح والعفو .

والثاني : غضبها للحق وللدين . وقد غلظ فيه ودعا إلى مناصرة الحق .

قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) الشورى٣٧

وقال سبحانه :- (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)الشورى٣٩

---

(١) لسان العرب ج١- ٦٤٦

ورد في الآيتين ذكر الغضب ، والمقصود به غضب المسلمين أولا : في تعاملاتهم بعضهم البعض وحثهم بطريق التعريض على إتباع الغضب مباشرة بالغفران والتسامح ، حيث أعقب فعل الغضب مباشرة بجملة التسامح والمغفرة "هُمْ يَغْفِرُونَ " المصدرة بالضمير المؤكد لفعل المغفرة ، والمضمنة الجملة الاسمية لما فيها من الثبات والاستمرارية والتأكيد .

أما في حال الغضب على أعداء الدين فهم ينتصرون ، إذا ما اعتدي عليهم[١] ، ومنه قوله تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) الأعراف١٥٠ وقوله : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ)الأعراف١٥٤

حيث صورت الآية الأولى سمة من سمات موسى عليه السلام ألا وهي غضبه الشديد للحق ولربه ، فحين رجع موسى إلى قومه ووجدهم على ما هم عليه من العصيان والكفر غضب وحزن أشد الحزن على تبدل أحوالهم وفسادها[٢] وخاف على أخيه وقومه من العقوبة ؛ وقد أظهر القرآن هنا الغضب في صورة إنسان أخر تجسد مع موسى وسانده ومثل غضبه ؛ فكان من آثار فوران غضبه عليهم جراء فعلهم ؛ أن وضع الألواح التي بيده على الأرض وأخذ بشعر رأس

---

(١) التحرير والتنويرج١٠ص١١١

(٢) روح المعاني ج٥ ص٦٥-٦٦ ، التحرير والتنوير ج٤ص١١٣-١١٤

هارون أو بلحيته يجره لاعتقاده بأن أخاه قد قصر في كف القوم عن غيهم ؛ ولذا بادره هارون عليه السلام بما يكسر حدة غضبه ويهدئ من روعه بندائه مستضعفا مستعطفا (ابن أم) ليذكره بأخوتهما ناصا على الأم دون الأب لترقيق قلب أخيه مخبرا إياه باستذلال قومه له وقهرهم إياه ، وبأنهم كادوا يقتلونه[١].

أما الآية الثانية فقد أشارت إلى حال موسى عليه السلام عقب انتهاء غضبه ، وذهاب غيظه بعد اعتذار أخيه وتوضيحه لحال القوم معه – وإن لم يذهب غضبه بالكلية لأن توبة قومه لم تتم بعد– ، إلا أن حدة غضبه قد هدأت ؛ فالغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعها إلى أفعال تطفئ بها ثوران الغضب ، فإذا سكن الغضب هدأت النفس[٢].

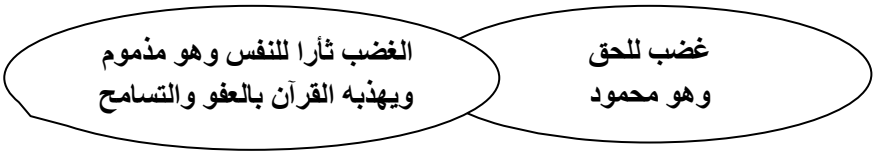

سادسا : الخوف

الخوف في العربية يعني :– الفزع وقد ورد ذكر الخوف مفردا في القرآن الكريم ، كما ذكر مقترنا بالحزن في عدة آيات ؛ فمن

---

(١) قيل أنه من شدة الغضب وفرط الحمية لدينه ، غضبا لربه قد وضع الألواح على الأرض ، وأخذ برأس أخيه الذي كان بموقف المسؤول أمامه، وقيل لم يتمالك ولم يتماسك موسى أن وقعت الألواح من يده بدون اختيار فنزل ترك التحفظ عليها منزلة الإلقاء . انظر روح المعاني ج٥ص٦٧، التحرير والتنوير ج٤ص١١٣–١١٤

(٢)لسان العرب ج٩ص٩٨

الأول: قوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْف) قريش أي جعل الله لهم الأمن في الحرم عوضا عن الخوف الذي تقتضيه قلة عددهم[١]

وكذا قوله سبحانه : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) آل عمران١٧٥

وقوله (فَمَا آَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يونس٨٣

فالمراد بالخوف في الآيتين الفزع أما الأولى فالمقصود النهي عن الفزع من أولياء الشيطان ، وتوجيه الخوف والخشية لله سبحانه[٢]، وأما الثانية فقد أشارت إلى فزع قوم موسى من فرعون حيث آمنوا مع خوفهم منه ، ولم يصدهم خوفهم عن الإيمان[٣]

وأما ذكره مقترنا بالحزن فكما ورد في عدة مواطن من القرآن الكريم قوله تعالى :(فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٤]

والمقصود بالخوف في تلك المواضع الفزع ، والمقصود بالحزن ضد الفرح ، أما عن علة الجمع بين الانفعالين قيل الخوف يحدث لما يستقبل أما الحزن فلا يكون إلا على ما مضي ، وقيل بل كلاهما في

---

(١)ج١٢ص٥٦١التحرير
(٢)روح المعاني ج٢- ص١٢٩ ، التحرير والتنوير ج٢- ص ١٧٢
(٣)روح المعاني ج٦-ص ١٦٨، التحرير والتنوير ج٥ص٢٥٩
(٤) وردت الأية بنفس اللفظ (فَلَهُمْ) وبلفظ (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في سورة البقرة٦٢، ٢٧٧،٢٧٤، ٢٦٢، ١١٢،آل عمران١٧٠

المستقبل ، لكن الخوف استشعار لفقد مطلوب والحزن استشعار غم لفوت محبوب والمعني في الآيات ؛ لا خوف عليهم فضلا عن إن يحل بهم مكروه ، أي لا يفوت عليهم - في الآخرة - أمرا محبوبا فيحزنوا عليه ، ولا يخافوا من منكر يحل بهم .

وقدم الحديث عن الخوف لان انتفاء الخوف فيما هو آت أكثر تأثيرا على النفس من انتفاء الحزن على ما فات ولهذا صدرت الآية بالنكرة التي هي ادخل قي النفي وقدم الضمير إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن[١] والمنفي في الآيات خوف مخصوص وهو خوف الآخرة ، فأما التعبير "لا خوف " بالاسمية لإفادة نفي جنس الخوف نفيا قاطعا لدلالة الجملة الاسمية على الدوام ؛ وأما التعبير عن نفي الخوف بالخبر الفعلي "ولا هم يحزنون" فلإفادة تخصيصهم بنفي الحزن في الآخرة ، أي بخلاف غير المؤمنين فهم يحزنون .

وعليه يمكننا القول بأن القرآن قد أظهر الخوف والحزن متلازمان ولذا كانت خصوصية كل منهما سارية في الآخر[٢]

الخوف مفردا بمعنى الفزع	الخوف مقترنا بالحزن

(١) المحرر الوجيزج٢ص٤٣٠، روح المعاني ج١- ص٢٣٩، ج٢- ص٤٣، ج٢ - ص١٦٧، التحرير والتنوير ج١ ص٥٤١

(٢) التحرير والتنوير ج١- ص٥٤١

سابعا : الاطمئنان

الاطمئنان في اللغة هو السكون[١]

قال تعالى : (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الرعد ٢٧-٢٨

والمقصود باطمئنان القلوب هنا استقرارها وهدوئها وسكونها بالأنس بذكره تعالى والابتهال إليه ، بذكره وبتلاوة آياته المعجزة وبالتأمل في دلائله الكونية الدالة على وحدانيته، وتصديقه والإيمان به ، والخروج من قلق الشك والتردد ، كل ذلك كان سببا لاطمئنان القلوب وسكونها[٢]، ولذا كان التعبير بصيغة الفعل المضارع (تطمئن) لإفادة تجدد الاطمئنان كلما سمع الذكر أو حدث التدبر لضمان دوامه وامتداده .

---

(١)لسان العرب ج

(٢)روح المعاني ج٧- ص١٤٩

وبذا نصل إلى أن القرآن قد أعطى بعض المعاني الإضافية للانفعالات :-

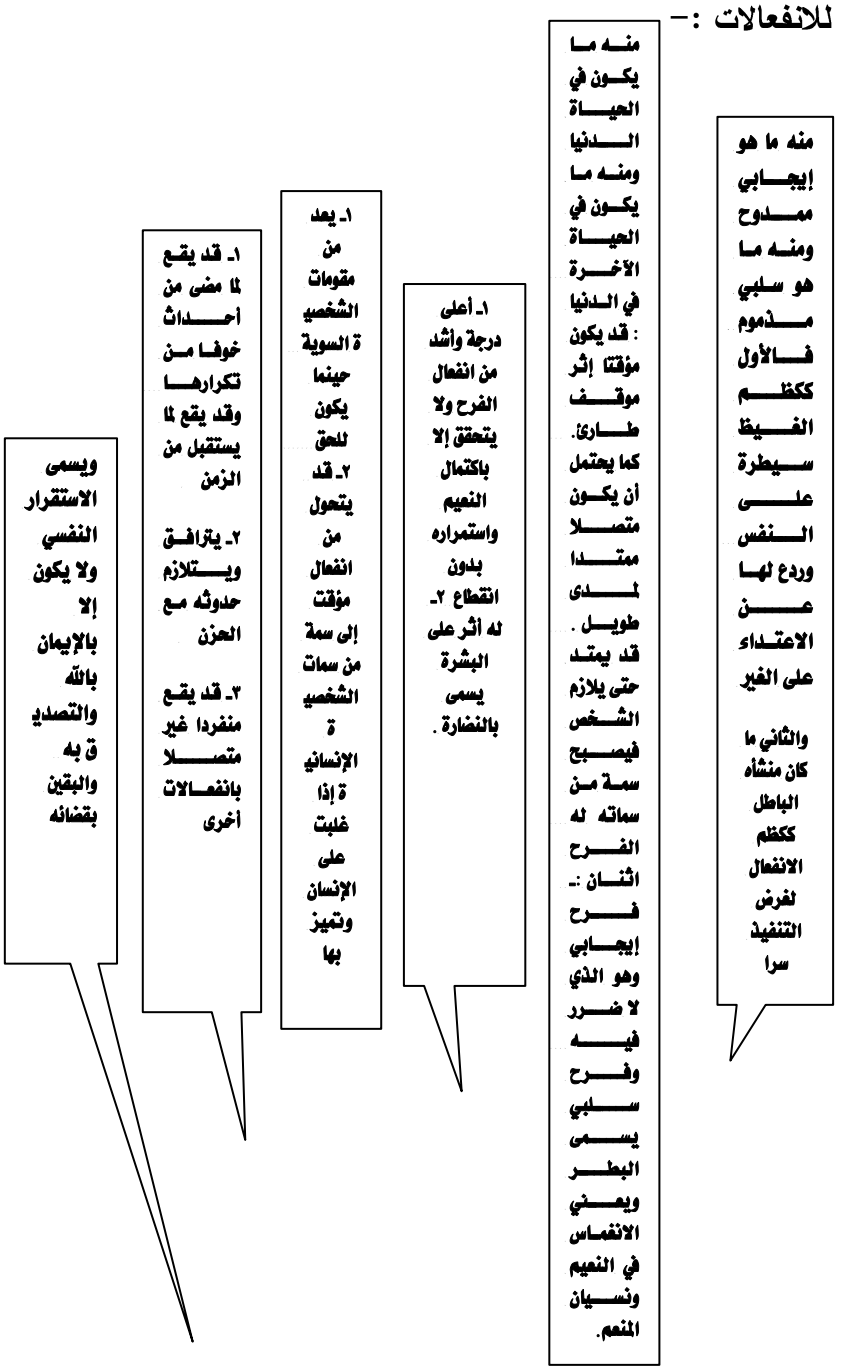

الغضب السرور الخوف

الكظم الفرح
الاستقرار النفسي (الاطمئنان)

مما سبق يمكننا القول بأن الانفعالات العاطفية في القرآن هي:-